



## المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: الشرق اوسطية والشراكة المتوسطية "التطابق والتقاطع"

اسم الكاتب: أ.د. ناظم عبد الواحد الجاسور

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/1904>

تاريخ الاسترداد: 2025/06/06 16:06 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.

لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على [info@political-encyclopedia.org](mailto:info@political-encyclopedia.org)

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام

المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجالات الأكاديمية العلمية العراقية ورده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.



## الشرق اوسطية والفراغة المتوسطية

التطابق والتباين والآفاق المستقبلية لموقع العراق في مأزون العاشرتين

الأستاذ الدكتور

ناظم عبد الواحد الجاسور

عميد كلية العلوم السياسية - الجامعة المستنصرية

### المقدمة

في الوقت الذي خفت فيه بريق مشروع الشرق اوسطية وبدأ ينتقل من محطات وعواصم عربية وغربية لا تغير اهمية لما يطرحه من تصورات وافكار عارضتها حتى الدول الاوروبية وبعض الدول العربية وخصوصاً الخليجية التي امتنعت عن تمويل صندوقه الذي لا يهدف الا الى انعاش الاقتصاد الاسرائيلي، وان ادارة الرئيس بوش الاب التي كانت وراء هذا المشروع قد غادرت البيت الابيض وتوقفت مسارات التسوية السياسية التي بدأت في مدريد ١٩٩١، وعبر مفاوضات متعددة الاطراف في عواصم عدّة، فقد خرج من مياه المتوسط مشروع اخر جديد بابعاده السياسية والأمنية والاقتصادية، واقتصر تجمعه على دول حوض البحر الابيض المتوسط اضافة الى الدول الاوروبية الاخرى الاعضاء في الاتحاد الاوروبي بهدف واحد المشروع الامريكي، وتأكيد حضور اوروبي فعال في سياسات المنطقة بعد ماستريخت، ولاسيما وان بعض الدول الاوروبية الكبرى قد شعرت بالخسارة الكبيرة لمواضعها واسواقها التقليدية في الشمال الافريقي بالتحديد. واذا كانت الشراكة المتوسطية قد انطلقت من قمة برشلونة الاسپانية (في نهاية تشرين الاول ١٩٩٥) للدول المتشاطئة على ضفتي الاطلسي، وما يرتبط بالاتحاد الاوروبي من اعضاء خارج هذه المنطقة، فإن الشرق اوسطية بقيت تراوح مكانها متعثرة في خطواتها وقممها السنوية، ومما يؤكد من الجانب الآخر بأن هناك مسار جديد ارتسם في العلاقات العربية-الاوروبية بدلاً من المسار الذي اتخذته العلاقات العربية-الامريكية، وان كانت واشنطن في ادارة الرئيس بيل كلينتون اشغلت بأمور اخرى، وخصوصاً في وسط وشرق اوروبا ومشاكل الداخل الامريكيّة الخاصة. وقد عادت الشرق اوسطية من جديد في ظل ولاية جورج بوش الابن وبعد احتلال العراق، حيث استكملت الهيمنة الامريكية-الاطلسيّة على قوسى الازمات الشمالي والجنوبي وغدت المنطقة محكومة بقواعد عسكرية واستراتيجية

فـ  
الجاسور  
ام

أمريكية شاملة وفارضة قيمها ومعاييرها في المنظومة العالمية لحقوق الإنسان وبناء الديمقراطية واجراء الاصلاحات السياسية وبالشكل الذي ينسجم مع متطلبات الوجود الأمريكي في المنطقة.

فالاستجابة العربية لركوب قطار برشلونة رغم وجود مسافر مزعج (اسرائيل) في احدى عرباته، كانت استجابة سريعة ولم يمنع الدول العربية (ما عدا ليبيا) الثمانية من التفاعل الإيجابي مع قم الشراكة المتوسطية على امل تلبية طموحاتها السياسية وتقليل الآثار السلبية لعملية التوسيع الأوروبي شرقاً، مما جعلها تحضر بانتظام اجتماعاته السنوية، وسماع الجانب الأوروبي هموم ومشاكل الأمة العربية، ومحاولة التأثير على المواقف الأوروبية بشكل متوازن بقصد القضايا الخاصة بالمنطقة، وبالشكل الذي يجعلها مختلفة عن السياسات الأمريكية التي حاولت توظيف الشرق الأوسطية لدعم الكيان الصهيوني سياسياً واقتصادياً، بدون اعارة أي اهتمام لكل المطالب السياسية العربية.

وتأسياً على ما تقدم، فإن دراستنا سوف تتصلب على القراءة السياسية للمشروعين من خلال منهجة مقارنة لتحديد التطبيق والافتراق، ثم تحديد الافقين المستقبليين لهما وموقع العراق في الدائرتين، حيث غالباً بعد الحرب محور الاستقطاب والتناقض بين المشروعين، أو بين السياسيين الأوروبي والأمريكي، وخصوصاً ان لكل طرف رؤيته الخاصة في الاصلاح السياسي وإعادة رسم المنطقة وعلى وفق مصالحه الاستراتيجية.

#### **الشرق الأوسطية رؤية أمريكية للمنطقة ما بعد حرب الخليج الثانية:**

في نهاية كل حرب تخرج منها المنطقة، هناك رؤية америкية تتجسد في السياسة والامن والدفاع. فإذا كانت حرب الخليج الأولى افرزت تصورات وافكار غربية عما يطلق عليه "أمن الخليج العربي" وما يستقر عليه من اسس ومرتكزات تختلف عما افرزته حرب ١٩٧٣، فإن حرب الخليج الثانية قد فتحت الباب على مصراعيه لوجود غربي (أمريكي بالتحديد)، مثل في القواعد العسكرية الأرضية المنتشرة في حفر الباطن والكويت وقطر وبعض دول المنطقة الأخرى، اضافة الى حاملات الطائرات والبوارج الحربية التي تعوم على مياه الخليج والبحر الاحمر ومداخلهما، ناهيك عن الاسطول السادس في حوض المتوسط والاسطول الخامس في المحيط الهندي وبحر العرب. وبدون شك، فإن هذه المنطقة التي استقرت الادبيات السياسية والاستراتيجية الغربية على تسميتها بالشرق الأوسط، ليس الهدف منها فقط شطب الهوية القومية للوطن العربي من الخارطة السياسية، واحلال هذه التسمية بدلاً منها، وإنما امتداد مسرح العمليات العسكرية الأمريكية على قوس الازمات الثاني الذي يمتد من الرباط حتى افغانستان مقابل قوس الازمات الاول الذي يمتد من وسط وشرق

اوربا الوسطى مروراً بالقوقاز واسيا الوسطى، حيث الثروات البترولية الهائلة ليلقى مع خط الازمات الثاني وفي الاخير مطبيقاً على المنطقة كلها، كما حدد هذه لاقوس زبيغينيو بريجنسكي الامن القومي في حكومة الرئيس كارتر<sup>(١)</sup>.

وفي الواقع، اذا كانت مقوله الشرق الاوسط في ادييات السياسة البريطانية والفرنسية تجسد بعض التعبير لجو-سياسة، استراتيجية وحملت مشاغل وحلول مخططات الدول الكبرى تجاه شرقها بالمعنى الجغرافي، ومن ضمن استراتيجياتها اقسام مناطق نفوذ فان هذا التعبير اخذ يكتسي دلالات ومعان جديدة في ظل لظروف الدولية، والسياسات التي خلفتها تداعيات انهيار المعسكر الاشتراكي، واختفاء الاتحاد السوفياتي، والنتائج الكبيرة لحرب الخليج الثانية، والتي تمثلت في عقد مؤتمر مدريد عام ١٩٩١، ومن ثم التوصل الى اتفاقيات اسلو، وما ترتب عليها من انحسار كبير في دور النظام الاقليمي العربي المتمثل في جامعة الدول العربية وتقويض اسس العمل العربي المشترك. وعلى ضوء هذه التداعيات، جاءت الافكار والتصورات الغربية للمنطقة راسمة حدودها، وتوجهاتها السياسية، اذ اشار المفكر والكاتب البريطاني الاصل برنارد لويس في تفاصيلاته المشهورة "اعادة التفكير في الشرق الاوسط" موضحاً بان مفهوم الشرق الاوسط في الماضي قد توسع في جميع الاتجاهات فيما عدا الشمال، حيث كان ينظر الى الاتحاد السوفياتي على اساس انه حده الشمالي، وبأخذ هذه الحد، فان المساحة الجغرافية امتدت لتشمل جمهوريات اسيا الوسطى الاسلامية<sup>(٢)</sup>. واذ يشير لويس بالتحديد الى ان الشرق الاوسط كونه ايضاً "مزائيك" من القوميات والاثنيات والاديان، وبما ان اسلامية العرب تمنعهم من اقامة دولة قومية عصرية علمانية تمارس قطبية مع الاسلام وتاريخه، على غرار ما فعلت الدولة الكمالية، فان الشرق الاوسط ولاسيما في قسمه العربي، يصبح مكاناً لتعايش جماعات اثنية ودينية لا يمكن ان ينظم التعايش فيها الا في اطار مصالح تثيرها سلطة من خارج هذا المكان، او تضيئها سلطة رادعة من المكان نفسه، اي انه في النهاية يصل الى ان اسرائيل او الولايات المتحدة، هما القوتان القادرتان على ضبط ايقاعات هذه المنطقة من خلال "النظام الشرقي اوسطي كأطار اقليمي" بدلاً من الانظمة الاقليمية او الفرعية<sup>(٣)</sup>.

وبناء  
وجود

برائيل)  
الثمانية

سياسية  
انتظام

محولة،  
نطقة،

شرق  
المطالب

سياسية  
الافق

تقطب  
ان لكل

مصالحه

د في  
أفكار

كرازات  
على

رضية  
فة الى

لآخر

س في  
دبيات

ها فقط  
بة بدلاً

ني الذي  
ل وشرق

<sup>(١)</sup> ينظر بحثاً حول توسيع حلف الناتو شرقاً والاستراتيجية الامريكية، مجلة دراسات دولية، العدد ١١ لسنة ٢٠٠١ مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد.

<sup>(٢)</sup> صراع القوى في اسيا الوسطى، مجلة قضايا دولية، اسلام اباد، العدد ٢١٣، في ٢١ كانون الثاني ١٩٩٤، ص ٢٢.

<sup>(٣)</sup> وجيه كوثرياني، بالشرق الاوسط والتطبيع الثقافي، مجلة دراسات فلسطينية، بيروت، العدد ١٩٩٥/٢٢، ص ١١.

فهذا المدلول الجغرافي الواسع اختلف الى مدلول سياسي بحت يترتب عليه ادخال دول غير عربية في المنطقة، وخروج دول عربية ان امكن، اضافة الى اضفاء صفة التعدد والتنوع وليس الوحدة والتماثل<sup>(٤)</sup>، اي خليط من الاليان والقوميات التي تسهل تقتتها وتجزئتها، من اجل السيطرة والهيمنة عليها وفقاً لما تطلبه استراتيجية القوة العظمى ومصالحها الحيوية ولاسيما في الوطن العربي الذي تحاول تمزيقه الى اجزاء ومناطق، ولا تعامله على انه وحدة متميزة، في الوقت الذي تدور حوله كل الافلاك "العربية"، ويجب ان يكون هذا القطب عنصراً فعالاً في تحرير ترتيباته الامنية ورسم فضاءاته الاقتصادية وسوقه الواسعة، وقد اعاد تأكيد ذلك مساعد وزير الدفاع الامريكي بول لفويتز وقبل اشهر من شن الحرب على العراق، عندما قال: (ان الدولة العربية هي حالة مركبة، بل انها الحالة المركزية الوحيدة في الشرق الاوسط، وحال التفاعلات المختلة في المنطقة يفترض من ان تكون دورها اكثر فاعلية واكثر وضوحاً في العقود اللاحقة)<sup>(٥)</sup>.

وعلى هذا الاساس فان المشروع الشرقي اوسيطي يبدو في ظاهره "اقتصادي تنموي" الا ان جوهره يهدف الى رفض القومية العربية كفكرة وحركة سياسية نمت في الشعور الوجداني للانسان العربي، ويحطم كل ما تبقى من مقومات يمكن ان تشيد عليها مستقبلاً اسس الدولة العربية الواحدة، كما انه لا يعترف بوجود اقتصاد عربي او بنية اقتصادية، ناهيك عن انه ينسف من الاساس الاطار الاقليمي للنظام العربي المتتمثل في جامعة الدول العربية.

ومن القراءة المتأنية للادبيات السياسية الامريكية والاسرائيلية يتضح انهما يغرفان من مصدر واحد في التفكير والآليات المحددة لهذا المشروع، وهذا ما كشفه شمعون بيرز في كتابه (الشرق الاوسط الجديد) الذي رسم معالم هذا النظام، وذلك بالعلاقات التعامدية بين دول المنطقة، اساسها الاقتصاد وحيث الدور الاساسي في ذلك هو ما يسند الى اسرائيل من دور كبير في الهيمنة والتقوّق على دول المنطقة من خلال قيام (هيكل اقليمي منظم)<sup>(٦)</sup>. وفي الاطار نفسه، فقد حدد بيرز الامن الاقليمي للشرق الاوسط الجديد من خلال:

- نزع اسلحة التدمير الشامل في المنطقة.
- تفكيك هياباكل القوة للدول العربية.
- فرض الرقابة وضبط التسلح.

<sup>(٤)</sup> جميل مطر، علي الدين هلال، النظام الاقليمي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٩.

<sup>(٥)</sup> صحيفة الاتحاد الاماراتية ١١ تشرين الاول ٢٠٠٢، ص ٢٧.

<sup>(٦)</sup> شمعون بيرز، الشرق الاوسط الجديد، اصدار دار الجليل، عمان ١٩٩٤، ص ١٩٣.

جمع المعلومات عن النشاطات لدول المنطقة، ويستثنى من كل ذلك إسرائيل على اعتبار أن الظروف المحيطة بها لا تسمح لها بـ "تفكيك أسلحتنا واعادة جنودنا إلى بيتهن" (٢).

وفي الاطار نفسه فقد سبق وان طرح شمعون بيرز في مقالة له نشرت تحت عنوان "ماذا بعد عاصفة الخليج، رؤية عالمية لمستقبل الشرق الاوسط"<sup>(٨)</sup>، لم يوضح فيه فقط مستقبل مدينة القدس التي يمكن تقسيمها الى شقين: سياسي وديني، حيث سياسيا تكون القدس اورشليم (عاصمة اسرائيل)، او دينيا مفتوحة لكل الاديان، وانما حاول طرح تصورات وصيغ لاشكال وانماط العلاقات الاقليمية بمختلف جوانبها، ولبعادها: المحلية والاقليمية والدولية. اذ دعا مثل كل دعواه السابقة، وما حاول ان يطرحه الامريكيون انفسهم في جولاتهم الدبلوماسية في المنطقة الى اقامة:

سوق شرق اوسطية مشتركة على اساس التكامل بين التكنولوجيا الاسرائيلية و المياه التركية والاموال الخليجية السعودية و العمالة المصرية.

ان السلام في الشرق الاوسط يشكل اولاً وقبل كل شيء هندسة معمارية وتاريخية ضخمة لبناء شرق اوسط جديد متحرر من الصراعات ومستعد اخذ مكانه في العصر الجديد.

المبادرة الى انتاج المياه وتوفيره . فالماء والسلام يجب ان ينسابا معاً .  
انشاء مجلس يضم وزراء الزراعة في كل دول المنطقة لكي يشرع في تخطيط  
حل مشكلة المياه وتزويد سكان المنطقة بالغذاء .

□ ضرورة المساعدات الاوروبية الامريكية واليابانية<sup>(١)</sup>.  
وفي الواقع، فان المشروع الشرقي اوسطي الذي يمثل خلاصة التفكير الاستراتيجي لادارة الرئيس الامريكي السابق جورج بوش الاب في صياغة اليات التعاون او "الاندماج" بين دول المنطقة في اطار نظام اقليمي واسع، قد شخص بعض المركبات الاساسية التي من خلالها يمكن ان يشيد هذا المشروع، وهي:

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٤

القاهرة ٩ كانون الثاني ١٩٩٢

<sup>(٤)</sup> المصدر نفسه، ص ١١٢.

- تطوير التعاون العسكري الثنائي بين الولايات المتحدة من طرف وحلفاؤها الجدد من طرف اخر.
- تعزيز التعاون المدني والامني، الاقتصادي والسياسي والثقافي بين دول الشرق الاوسط والولايات المتحدة.
- بناء منظومة اقليمية نسيجية من التعاون بين الشرق الاوسط كافة.
- فصل الشرق العربي عن مغربه، ورفض اي تكامل عربي، او أي التقاء اقليمي بين الدول العربية نفسها.
- احلال الهويات الفرعية: الطائفية، العرقية، الانثانية بدلاً من الهوية العربية القومية الحاضنة لامة العربية وشعبها<sup>(١٠)</sup>.

وبهذا الصدد، يؤكد الاستاذ محمود عبد الفضيل بان المشروع الشرقي اوسطي هو في الاساس صياغة اسرائيلية بدعم امريكي يهدف الى بناء نظام اقليمي تكون فيه المحور الرئيسي القيادي، وتكون بمثابة الوسيط المعتمد بين المراكز الراسمالية المتقدمة في الغرب واسيا من ناحية، وبلدان المشرق والخليج العربي من ناحية اخرى<sup>(١١)</sup>. فذا كانت هذه الهندسة المعمارية الجديدة للمنطقة تسعى في الاول والآخر لجعل اسرائيل (الدولة) الطبيعية في المنطقة، ومحورها الاساسي، فان الرؤية الاسرائيلية لمجمل ما خطط له (وما يعاد التأكيد عليه مرة اخرى بعد الحرب واحتلال العراق) هو:

- اقامة علاقات مشتركة وطبيعية بين اسرائيل والدول العربية.
- امكانية اسرائيل في اختراق المجتمعات العربية.

الاقرار بشرعية الوجود الصهيوني على ارض فلسطين، وشطب التاريخ وتمزيق وثائقه، وكتبه المقدسة.

- تبقى اسرائيل (الدولة) القوية ولها الحق وحدها امتلاك اسلحة التدمير الشامل.
- الحصول على نصيب وافر من الثروة العربية، والسيطرة على آليات التنمية العربية ومداخل ومخارج وارداتها وصادراتها وحسابات ميزانها التجاري.
- السيطرة الاسرائيلية المباشرة على المياه العربية والتحكم بمصادرها.

(١٠) سيار الجميل، المجال الحيوي للشرق الاوسط ازاء النظام الدولي القائم، من مثلث الازمات الى مربع الازمات، تحديات مستقبلية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٦، ١٩٩٤، ص ٢٢.

(١١) ينظر محمود عبد الفضيل، الشرق اوسطية ومستقبل التعاون والتكامل الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٢٠ (٦) ١٩٩٧، ص ٨٨.

اقامة حوض اقتصادي واسع يضع الدورة الاقتصادية والعربيّة تحت رحمة رؤوس الاموال الاسرائيلية والامريكية، ولا مجال لا يتعاون عربي- عربي. الغاء القدرة العربيّة كقوة يمكن ان تفرض على المنطقة نظاماً اقليمياً عربياً. منح الاقلیات العرقية والطائفية والاثنية حق الانفصال والتکتل لتفكيت الامة العربية، وتغليب هذه الهويات الفرعية على الهوية المركزية العربيّة<sup>(١٢)</sup>.

وإذا كان الاستاذ غسان سلامة يرى في الابعاد السياسيّة للتحديات شرق اوسيطية متجسدة في: الالحاق، والافراق، الاختناق، الانسحاق والانشقاق في الجسم العربي المتشظي<sup>(١٣)</sup>، فإن الاستاذ ناصيف حتى وضع ثلث مشاهد امام مستقبل النظام العربي:

الاول: مزيد من الانهيار وغياب اية بلورة لسياسة الحد الادنى للنظام العربي، وبالتالي يصبح طرفاً متلقياً، وليس طرفاً فاعلاً في النظام الشرقي الاوسيطي الجديد.  
الثاني: انتهاء النظام العربي في شكله الحالي وتقشه الى انظمة فرعية متدرجة في انظمة اقليمية تحتوي دولاً في المحيط العربي ودولًا من غير المحيط العربي، مع اقامة نظام شرق-اوسيطي ك إطار اوسع لتلك الانظمة الفرعية.

الثالث: اعادة احياء لنظام العربي عبر بلورة قيادة لهذا النظام تؤسس على بعض الاطراف الرئيسية الفاعلة<sup>(١٤)</sup>.

سيتم مناقشة هذه السيناريوهات (المشاهد) الثلث في النقطة الأخيرة من الدراسة، وكيف تجسّمت بعد المشهد العراقي على اثر الاحتلال الامريكي.

**الشراكة المتوسطية: مشروع بديل ام مسار متواز**  
اذا كانت هذه هي الصورة التي اطلت من خلالها الشروق الاوسيطية، بكل تداعياتها، وتأثيرها على الامة العربيّة وكيف انتهت بعد اربع مؤتمرات كان اخرها مؤتمر الدوحة<sup>(١٥)</sup>، الذي عجز فيه المشاركون من الاتفاق على تحديد مكان عقد المؤتمر القائم فكان دليلاً واضحاً على التدهور السريع الذي اصاب الفكر والمشروع من اساسه، فإن الاسئلة التي تطرح تشكّل المحور الاساسي للاشكالية بحثنا وهي: هل ان الشراكة المتوسطية التي انطلقت بعدها في نهاية ١٩٩٥، تمثل مشروع اوروبياً

<sup>(١٢)</sup> ينظر كتابنا، الامة العربية ومشاريع التفتیت، الاهلية، عمان ١٩٩٨، ص ٧٢-٧٤.

<sup>(١٣)</sup> غسان سلامة، افكار اولية عن السوق الاوسيطية، نقاً عن سيار الجميل، المجال الحيوى، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤.

<sup>(١٤)</sup> ناصيف حتى، النظام الاقليمي العربي.. الى اين، الهلال، شباط ١٩٩٤، ص ٤٢-٤١، تقلياً عن تدوة التحديات الشرقي اوسيطية والوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت ١٩٩٤، ص ١٤٧.

<sup>(١٥)</sup> للمزيد من الاطلاع عن مؤتمر الدوحة ١٩٩٧، ينظر نيرمين المسعدني، مؤتمر الدوحة ت الى ١٩٩٩، مركز اقتصادي، مجلة السياسة الدوليّة، العدد ١٣١، كانون الثاني ١٩٩٨.

بديلاً ام مسار متواز؟ وما هي نقاط التطابق والافتراق بين المشروعين؟ وما هي الأفاق المستقبلية للمنطقة بعد الحرب التي شنت ما اعقبها من احتلال امريكي للعراق؟ بدون شك، ان القراءة السياسية للمشروع المتوسطي تبين بأن هذا المشروع لم يكن الا احد اركان السياسة الاوروبية التي انطلقت بعد ماستريخت (شباط ١٩٩٢) وامتداداً للسياسات الاوروبية السابقة التي تبنتها المجموعة الاوروبية في اطار علاقاتها مع دول الجنوب، وتستند الى علاقات حضارية وتاريخية في حوض المتوسط بين جهاته كافة. ولكن، فان هذا المشروع بقدر ما يعبر عن رغبة الدول الاوروبية في تعزيز نفوذها مقابل النفوذ الامريكي المتاعظ بعد حرب الخليج الثانية، ومؤتمر مدريد. فهذا المسار الذي انطلق من برشلونة، حيث شكل محطة الرئيسية، فان سكة طريق طولية قطعها قبل ان يصل الى هذا المستوى من الانظام في قمة السنوية والحضور المستمر لاعضاءه رغم الخلافات الناشبة بينهم.

في الواقع فان هذا المشروع، لم يكن الا منافسة للمشروعات الشرق-اوسيوية، وابراز دور الاوروبي الفعال في تقرير مستقبل المنطقة الحيوية للأمن الاوروبي، وخلق مجال كبير لنفوذ فرنسي في حوض المتوسط قد يعادل المجال الالماني في وسط وشرق اوروبا، اضافة الى الادراك الاوروبي الجمعي بأن المخاطر المحتملة التي تواجه حوض المتوسط لا يمكن مواجهتها بمفردها ضمن اطار الاتحاد الاوروبي، إنما بمشاركة فعالة مع دول الجنوب، الذي شخص في السنوات الاخيرة بأنه مصدر الازمات، ولاسيما بعد اختفاء المواجهة ما بين الشرق والغرب.

وبدن شك، فان المجموعة الاوروبية راهنت منذ بروزها كقوة اقتصادية على ارساء سياسة اوروبية متوسطة قائمة على المصالح المشتركة بين الدول الاوروبية الغربية اولاً، ومن ثم بين صفتى المتوسط وخصوصاً في الامن والتعاون ثانياً. واستمرت هذه المراهنة سنين طويلة وكانت تتقدم وتتراجع حسب الظروف الدولية ومتغيراتها، ومن بينها ان السوق الاوروبي لم تبلور سياسة متجانسة بقصد الصراع ما بين الشرق والغرب، وحتى التعاون بين صفتى المتوسط حيث السياسات الانقاذية في التعامل، بسبب الارتباطات الاطلسية لقسم من دول المجموعة، والدفاع عن هذه الرابطة (المقدسة)، والمناهضة الواضحة التي ابديتها فرنسا الديغولية، وما زالت، ضد الهيمنة الامريكية. وما بين مسيرة الحوار العربي- الاوروبي منذ عام ١٩٧٣، وما تجسد في مؤتمر هلنسكي عام ١٩٧٥ للأمن والتعاون الاوروبي، مروراً بالمبادرات التي طرحت من هذا الجانب او ذلك<sup>(١٦)</sup>، وحتى قمة مؤتمر الاتحاد الاوروبي في لشبونة عام ١٩٩٢ بعد ثلاثة اشهر على معايدة ماستريخت، التي اكدت على قرار

<sup>(١٦)</sup> عماد جواد، الامن والسلام في البحر المتوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد ٩١ كانون الثاني ١٩٨٨، ص ص ٢٠٧-٢٠٨.

على بالاجماع من "ان الضفة الجنوبية والشرقية للبحر الابيض المتوسط منطقان تسویان على اهمية قصوى لمجموعة الاوروبية من حيث الامن والاستقرار الاجتماعي"<sup>(١٧)</sup>. وبغية استكمال هذا المسعى فقد صادق المجلس الاوروبي على قرار الشراكة في الاجتماع الذي عده في مدينة آسن الالمانية في كانون الاول/ديسمبر ١٩٩٢، مؤكدا من "اسس الشراكة الجديدة بين دول معاهدـة ماستريخت والبلدان المتوسطية الثالثة) تهدف الى اضافة استراتيجية تعاون سياسي واقتصادي شامل"<sup>(١٨)</sup>، بين دول الاتحاد الاوروبي نفسها على سياسة موحدة، وثانياً، امكانية تقاصم الاتحاد مع دول الجنوب الاخر من المتوسط<sup>(١٩)</sup>. ولكن يبدو ان هذين الشرطين لا يمكن تحقيقهما بشكل كامل، ولاسيما ان التقاصم بين دول الاتحاد الاوروبي بعيد المثال وهذا ما اكنته احداث يوغسلافيا والمنافسة القوية بين دول الاتحاد نفسها حول الاسواق الخارجية، وذلك عن ان دول المتوسط الجنوبي تم بظروف صعبة نتيجة الحروب والصراعات التي لم تصل الى تسويتها بالطرق التي تؤدي الى الاستقرار السياسي الذي تبحث عنه دول المتوسطة.

وفي حقيقة الامر، اذا كانت الشراكة الجديدة التي تمخضت عن مؤتمر  
برلستون (٢٨-٢٧ تشرين الاول ١٩٩٥) خضعت لمفهوم ومنطق معاهد ماستريخت  
وتوارت علاقه اوروبا مع المتوسط واوروبا الشرقية والوسطى، فان اهدافها تحصر  
في ان تكون مترکزة على الاستقرار والامن والحربيات والتنمية، ولاسيما وان اوروبا  
الجديدة والمنتظرة تتظر بتوجس كبير الى ما يجري في دول جنوب المتوسط  
خصوصاً العربية منها التي تحتل مساحة واسعة من حوض المتوسط، اضافة الى  
اندادها الشرقي اوسيط، لذلك فان المجموعة الاوروبية بدولها التي تعدد الخمسة  
عشرون دولة ادركت بأنه لا آمن بدون استقرار سياسي مرتكز على تماسك اجتماعي  
معه يوضع اقتصادي جيد لكي تكون صورة المستقبل ايجابية وتعطي الشراكة ثمارها،  
وهذا ما طرحته المجلة الايطالية (الاسبكتور) في عددها الصادر في خريف عام  
١٩٩٦ (حول الشراكة المقترحة بين المجموعة الاوروبية ودول البحر المتوسط  
الشرقية)، والذي اشارت فيه الى أن نقطة الضعف التي يتميز بها هذا الاقليم  
هي (حالات عدم الاستقرار التي كثيرة ما تسود هذا الاقليم بالذات .. والتى، تتطلب

<sup>٦</sup> الشناوي العياري، أفق التكامل في البحر الأبيض المتوسط، نشرة المنتدى، عمان العدد ١١٤، مارس ١٩٩٥، ص ٦.

<sup>٥</sup> ساقى البحيري، المغاربة حريصون على تطوير التعاون، والاتحاد الأوروبي يطالب بـ تجدة واحدة، مجلة المجلة، بيروت، العدد ٧٧١، ٢٠٢٢، ص ١٩٩٤، تشرين الثاني، ١٩٩٤، ص ٥.

<sup>٦</sup> نظر إلى الشادلي العياري، مصدر سابق ذكره، ص. ٦.

معالجتها قدرأ اكبر من التعاون، والا فليس اسهل من ان تتحول المنطقة الى مصدر للاحتياك والتنازع، ناهيك عن العداوة والاضرار بالامن الدولي كله<sup>(٢٠)</sup>.

وأكيدت المجلة الإيطالية على ان "الاوضاع الاقتصادية اللا متوازنة يضاف اليها عوامل سياسية واجتماعية وثقافية ودينية من شأنها إثارة انعكاسات على الامن والاستقرار في حوض البحر المتوسط كله، ويبدو ان الحل لا يمكن في مجرد ان يكسب جانب من خسارة الجانب الآخر، ويضاعف من استدامة وتفاقم الازمة اضافة الى سياسات الحماية والضغط الخارجية مما يجر الحكومات ناحية خيارات عدائية لانه ما من دولة تستطيع ان تحل منفردة ازمة اكبر منها تشمل هذا الاتساع والحجم الضخمة"<sup>(٢١)</sup>.

وهذا هو بالتحديد ما دفع الاوروبيين الى عقد مؤتمر برشلونة، حيث احتل هاجس الامن والاستقرار صلب البيان الختامي الذي جاء فيه: يعبر المشاركون عن قناعتهم بان السلام والاستقرار والامن في منطقة البحر المتوسط تشكل مكسبا مشتركا يتعهدون بتشجيعه وتوطديه بكل الوسائل التي في حوزتهم. من اجل هذا يوافق المشاركون على اجراء حوار سياسي مكثف ومنتظم يرتكز على احترام المبادئ الجوهرية للتعاون الدولي ويعاودون التاكيد على عدد من الاهداف المشتركة في مجال الاستقرار الداخلي والخارجي<sup>(٢٢)</sup>.

ومما يلاحظ في اعلان برشلونة الذي اقرته الدول (٢٧ دولة) ممثلة بوزراء خارجيها، انه استند الى ثلاثة مبادئ اساسية: سياسية، اجتماعية واقتصادية، حيث شغل الشق الامني والسياسي صلب المحادثات على مدى يومين متتالين، حيث الصعوبات الكبيرة التي نجمت عن الاختلاف بين وجهات النظر حول العديد من النقاط ولاسيما الارهاب، فيما الهدف كان مواجهة (التيار الاسلامي) بحد ذاته، وكذلك حق تقرير المصير، وخطر الانتسار النووي، وهي النقطة التي عارضتها اسرائيل، وكذلك وجهة النظر السورية التي كانت تؤكد على حق الدفاع عن النفس<sup>(٢٣)</sup>.

في الواقع، فإذا كان للمجموعة الاوروبية اهدافها العلنية من انعقاد مؤتمر برشلونة ومن بينها البحث عن دور اوروبا السياسي، وايجاد الحلول للمشاكل التي تواجهها من خلال شركاء جدد وان لتركيا ايضاً نواياها الخاصة في ذلك واقناع الاتحاد على حسن سلوكها، فان لاسرائيل اهدافها العلنية والسرية وهي بالتأكيد كانت الرابح

<sup>(٢٠)</sup> التعاون والاستقرار في البحر المتوسط، بنود هامة في الشراكة المقترحة، مجلة الاسبكتور الايطالية، نشرة المنتدى، عمان العدد ١١٤ آذار ١٩٩٤، ص ص ١٦-١٨.

<sup>(٢١)</sup> المصدر نفسه، ص ١٧.

<sup>(٢٢)</sup> صحيفة بابل البغدادية في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٩٥، ص ٣.

<sup>(٢٣)</sup> المصدر نفسه، ص ٣.

الاول والأخير من تلك الشراكة، لأن الدول العربية حضرت ولم تحصد غير الوعود. لقد كان مؤتمر برسلونة الطريق المفتوح امام اسرائيل للاندماج الطبيعي في المنطقة، بعد مؤتمر عمان الاقتصادي تشرين الاول ١٩٩٥ وسبقه مؤتمر الدار البيضاء عام ١٩٩٤ حيث المشاريع التي لم تأت الا دعم الاقتصاد الاسرائيلي. لقد اشار الاستاذ جميل مطر في مقالته الى تلك المخاطر الجسيمة المتاتية من تلك المشاريع التي انهالت على المنطقة، وترتيباتها الاقتصادية والامنية كانت الشرق اوسطية، او المتوسطية، مؤكداً على ان كلا من هذه الترتيبات يقوم على (تجزئة العرب الى اجزاء اخرى جغرافية متصلة ومتباينة مع اجزاء اخرى من الاقتصاد العالمي... جزء كبير في الاقليم الشرقي الاوسطي، وبعض هذا الجزء مع جزء اخر في الاقليم المتوسطي) (٢٤) ومن جانبه فان المفكر والباحث اللبناني خليل احمد، ذهب الى اتجاه المقارنة بين المشروعين، وبيكى على التقاطع بينهما في نقطتين استراتيجيتين تحكمان سلوك الغرب العسكري والاقتصادي، وتوطدان علاقته المستديمة بالكيان الصهيوني على حساب العرب ومصالحهم:

توسيع حلف الاطلس شرقاً، ليشمل منطقة الشرق الأوسط من ضمنها المشرق العربي وتركيا وأيران والكيان الصهيوني. هذا ما طرحته مستشار الأمن القومي السابق بريجينسكي، تم الاشارة الي ذلك في الصفحات الماضية.

تبين النهب الاقتصادي الاستراتيجي لهذه المنطقة الغربية بالنفط من جهة والثروات المائية من جهة اخرى، وجعلها جزءاً من سوق اقتصادية رأسمالية عالمية (هي اقطاعية جديدة) يسودها الرأسمال اليهودي وغير اليهودي، ويكون فيها العرب والمسلمون هم الطرف الرسمالي الضعيف بعد استغلال مواردهم وثرواتهم في حروبهم الداخلية والحدودية<sup>(٢٥)</sup>. ثم يضيف بان (المتوسطية) مشروع رديف مواز ومساعد لمشروع الشرق الاوسطية). الواقع في شراك احدهما سيد نفسه حكماً في شراك ثالثهما<sup>(٢٦)</sup>.

لقد وصف الاستاذ برهان الدجاني اعلان برشلونة بأنه (عبارة عن قارب صغير وسط أنواع متلاطمة وعواصف مضطربة فالبحر الابيض المتوسط بحر هائج

<sup>(٤)</sup> جميل مطر، وثائق المنظومة الاقليمية الاعظم في الشرق الاوسط، صحيفة الحياة ١٠ كانون

<sup>(٢)</sup> خليل احمد خليل، المشرق العربي، بين المتوسطية والشرقية، مصدر سابق ذكره، ص ١١.

العنوان: ...  
الصادر: ...

المصدر نفسه، حصٌ<sup>٦</sup> (٢٣)

فكلاً تباعدت عاصفة مهيبة له ابتدعت عاصفة جديدة<sup>(٢٧)</sup>. ومن هنا، فان حالة اللاتكافي بين ضفتي المتوسط، وخصوصاً العرب، وعدم تعامل الاتحاد الأوروبي والتزامه بمعيار واحد في جميع الامور وال العلاقات بين شطري المتوسط اضافة الى فرضه الشروط السياسية في تعاملاته التجارية ادى الى اتساع الفجوات بين الطرفين، وحولهم الى شركاء اباعد على الرغم من تقاربهم، ومواجهتهم لمشاكل مشتركة، في الوقت الذي شهدت فيه علاقات الاتحاد الأوروبي مع اسرائيل (علاقات شراكة وتعاون) متقدمة قياساً مع الدول العربية الاعضاء في هذه الشراكة<sup>(٢٨)</sup>.

وفي الواقع، اذا كان البعض يرى في المشروع المتوسطي وانجذاب العرب بانه يمكن ان يسمى بتتوسيع الشركاء وهي الحالة التي تشهدها المرحلة الحالية في تاريخ العلاقات العربية مع القوى الدولية نتيجة للظروف الدولية والاقليمية وغدت بعض الدول العربية اكثر تفاعلاً مع المشروع الأوروبي المتوسطي على مشروع الولايات المتحدة واسرائيل الشرق الاوسط اوسطي<sup>(٢٩)</sup>، فان المشروعين يسعان الى دمج اسرائيل في المنطقة، واحدهما يكمل الآخر في تنفيذ الستراتيجية الصهيونية وفي مساراتها المتعددة، وان انعكاسات ذلك لا بد وان تفضي الى:

- ان اية محاولة تطبيع العلاقات مع اسرائيل سوف لن تؤدي الا الى وضع الامة العربية في دوامة الاضطرابات والعنف وال الحرب الاهلية والطائفية .
- وتحت ذريعة مواجهة الارهاب لن يتم الا بتصفية القوى الوطنية والقومية التقدمية، واقامة نظم موغلة بالتبعية وتشويه الثقافة العربية الاسلامية من خلال غزو ثقافي مدروس عبر قنوات مختلفة لاحتواء المنطقة بصيغ جديدة من بينها الشراكة والتعاون وترتيبات اقليمية امنية وتقويض كل مقومات الامن القومي العربي وازالة مؤسسات العمل العربي .
- احكام ربط السوق العربية بالسوق العالمية ، وتقويض كل المكتسبات التي حققتها الجماهير العربية على مدى السنتين الماضية في بناء قطاع عام يلبى الحاجات الاساسية للشعب العربي .
- خلق علاقة اقتصادية ثلاثة الاضلاع ما بين اوروبا واسرائيل والعرب، الامر الذي يترتب عليه:

<sup>(٢٧)</sup> برهان الدجاني، التواحي الاقتصادية والمالية لاعلان برشلونة، مجلة اوراق اقتصادية، اصدار الامانة العامة للاتحاد لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية، بيروت، العدد ١، كانون الاول ١٩٩٦، ص ٢٢.

<sup>(٢٨)</sup> انصات اذاعة مونت كارلو الساعة الثامنة ٢٠ تشرين الثاني ١٩٩٥.

<sup>(٢٩)</sup> عمادة قدور، الاوروبيون والامريكيون في التوازنات العربية الراهنة، مجلة قضايا دولية، العدد ٣١-٣٧، شباط ١٩٩٧، ص ٣٢.

□ انهاء الحالة العدائية مع اسرائيل واقامة علاقات تجارية واقتصادية وثقافية وفي المجالات كافة.

□ اعادة التكوين السياسي للمنطقة بحيث تكرس تفكك الوطن العربي وشرقه عن مغربه، والاسلامي عن العربي ويحدث مزيد من الطمس والتغيير للهوية العربية الى درجة يمكن ان نرى معها دول المغرب العربي تسيز في -الفلكلوري- الإسرائيلي -الأمريكي.

وعلى الرغم من ان قطار برشلونة استمر في مسيرته ومن خلال مؤتمراته السنوية التي انعقدت بانتظام (ويحضرها العرب بدون غياب او تحفظ) وفي محطات متعرجة في المدن الاوروبية (٣٠)، اخرها في نابولي (كانون الاول ٢٠٠٣) تحت ظل الرئاسة الايطالية، والتي شهدت انسحاب امين عام الجامعة العربية احتجاجاً على تصريحات رئيس الوزراء الايطالي برلسكوني، وامتناع سوريا ولبنان التوقيع على بيانها الختامي احتجاجاً على السياسة الاسرائيلية، فان الشواغل الاوروبية مازالت شائخة، حيث يقف على رأسها موجات الهجرة السرية، والتطرف الاسلامي، ناهيك عن غياب الديمقراطية، وظهور عدم الاستقرار في الضفة الجنوبية للمتوسط، وعدم ارساء حل عادل للقضية الفلسطينية بالشكل الذي ينهي حالة الصراع، ويجنب المنطقة مشاكل اضافية. وهذه هي بالتأكيد الملفات التي تنتقل من مؤتمر الى مؤتمر اخر، ماعدا التوصل الى بعض اتفاقيات الشراكة مع عدد من الدول العربية املتها ظروف الوضع الدولي والاقليمي.

#### العراق بين الدائرتين : الشرق او سطية ام المتوسطية :

كثرت الناقشات حول الصيغة التي تركب منها المشروع المتوسطي، ولاسيما ان هناك بعض الدول الاوروبية لا تقع ضمن الدائرة المتوسطية، وليس لها اهتمامات سياسية بالمنطقة بقدر ما هي اعضاء في تنظيمات اقليمية. وهذا ما انسحب على اشتراك السويد والمانيا، ودول البينلوكس البعيدة عن المنطقة. الا ان هذا النقاش اغلق لكون هذه الدول اعضاء في الاتحاد الاوروبي، ومن الوزن السياسي والاقتصادي الذي يعتمد عليه في اطلاق قاطرة الشراكة، ومنطقة التجارة الحرة الموعودة لدول المنطقة. وقد طرحت بعض الافكار التي تبلورت في الارقة السياسية الاوروبية والعربوية بهدف اشراك العراق في هذه الشراكة المتوسطية، وذلك لما يتمتع به من علاقات اقتصادية وتجارية مع الاعضاء الرئيسيين في الاتحاد الاوروبي، اضافة الى علاقاته السياسية والدبلوماسية المتطرورة مع دول الحوض ولاسيما قبل حرب الخليج الثانية ولما يتوقع من عودة العراق الى وضعه الطبيعي بعد رفع الحصار. كما ان الافكار نفسها قد اعيد طرحها فيما يتعلق بانتماء العراق الى الشرق او سطية بعد رحل النظام السابق، وهي الفكرة التي ظهرت الى السطح بشكل واضح خلال الاعلان عن سياسة

لة  
ـي  
ـي  
ـي  
ـاـكـةـ

ـرـبـ  
ـاـرـيـخـ  
ـضـ  
ـاـتـ  
ـمـجـ  
ـفـيـ

ـاـلـمـةـ  
ـمـيـةـ  
ـلـالـ  
ـبـنـهـاـ  
ـسـوـمـيـ

ـتـيـ  
ـيـلـيـ

ـاـلـاـمـرـ

ـاـصـدـارـ  
ـ،ـ كـانـونـ  
ـةـ،ـ العـدـدـ

الاحتواء المزدوج للعراق وايران من قبل مارتن انديك مسؤول الشرق الاوسط في مجلس الامن القومي السابق في حكومة كلنتون، واذا كانت هذه مجرد افكار فهل يمكنها الان ان تترجم الى فعل ملموس على ارض الواقع الجديد بعد الحرب والاحتلال الامريكي للعراق؟

يبعدو بعد الان ان سقطت التقاحة العراقية في السلطة الامريكية، من الصعب ان يكون للعراق مكاناً في الدائرة المتوسطية، او حتى علاقات اقتصادية وتجارية مع الاتحاد الأوروبي بذلك المستوى الذي كانت عليه سابقاً، الا ما عدا الدول التي ساهمت في المجهود العسكري الامريكي، وساندت القوات الامريكية في الاحتلال العراقي ضمن (قوات التحالف) مثل بريطانيا واسبانيا وابطاليا وبقية الدول الاخرى في شرق اوروبا. وحتى هذه العلاقات سوف لا تكون باكثر ما تمن به اليه الامريكية من فئات على حلفاؤها، اما ما هو متوقع، فان العراق سيكون قلب الدائرة الشرق اوسطية الجديدة والذي من خلال دوره (السياسي والاقتصادي) سيتم اعادة رسم المنطقة، وبالشكل الذي يمكن فيه اقامة (الولايات المتحدة الشرق اوسطية) التي وضع هندستها الجوهري سياسي مساعد وزير الدفاع الامريكي السابق بول لفروويتز ومدير البنك الدولي حالياً عندما رأى ان خريطة الشرق الاوسط هي خريطة اوروبية تعكس على الاقل النزاع الاستراتيجي المتقدم بين بريطانيا وفرنسا<sup>(\*)</sup>. الا ان الولايات المتحدة، وحسب افكاره، وهي التي ترسم الخرائط، ومن مفهوم مستقبلي محدد، مما يقتضي معه اعادة النظر بتلك الخريطة. ثم يضيف موضحاً الخطة الامريكية التي تقضي بتفكيك الدول العربية، مؤكداً على ان العرب مارسوا عقدتهم التاريخية بمنتها السوء حيالاقليات العرقية الدينية، وعلى هذا الاساس يفترض اعادة النظر بالدول بطريقة تركيبها وبطريقة بناء السلطة، لا مشكلة اذا تطلب الامر تفكيك دولة او ارساء صيغة فيدرالية او كونفدرالية في دول اخرى). وقد سبق وان طرح لفروويتز فكرة قيام دولة كونفدرالية موسعة في الشرق الاوسط يكون مستوحى من تسمية الولايات المتحدة الامريكية، هل تكون الولايات المتحدة الشرق اوسطية؟ اما اسرائيل فيرى ولفروويتز يجب ان تكون جزءاً عضوياً من تلك الكونفدرالية التي تربط فيما بينها باحكام دستورية باللغة الدقة بحيث تحفظ لكل ولاية شخصيتها العرقية او المذهبية، حتى هنري

(\*) لقد كانت اوروبا من بين اكبر الاطراف الدولية معارضة لقرار تعين بول جاكوب (ياكوف) لفروويتز رئيساً جديداً للبنك الدولي، حيث موافقه اليمينية المتطرفة وانعكاساتها السلبية على المؤسسة المالية الدولية، حيث انه كان من اخطر منظري العنف الامريكيين، وال الحرب على افغانستان والعراق، حيث حرض ادارة بوش الابن بشن الحرب على العراق بعد ساعات قلائل من هجمات 11 سبتمبر، حيث الاسس التي وضعها للحرب الوقائية و "مكافحة الارهاب" من خلال اسقاط الادلة "المارقة" ومحاصتها.

يجدر قد اعلن صراحة (لماذا لا تكون اورشليم عاصمة الشرق الاوسط) (٣٠). وتأكيداً بهذه، الطروحات الغربية، واستمرار لهذا النهج والمخطط المرسوم، فقد صرخ وزير الدفاع الاسرائيلي شاؤول موفاز ((بانه لا يوجد الان عالم عربي، بل شرق اوسط)) (٣١).

ويبدو ان من بين الاهداف الاخرى التي سعت اليها واشنطن من عقد مؤتمر مدريد للدول المانحة لاعمار العراق (حيث اغلبية عقود الاعمار اعطيت الى الشركات الامريكية ذات رؤوس الاموال الاسرائيلية هو اعادة طرح من جديد مشروع الشرق الاوسطية<sup>(٣٢)</sup>، ولكن بصيغة جديدة، اهمها خروج العراق كمصدر للتهديد الاستراتيجي الاسرائيلي، وان احتلال العراق، كما افصح كولن باول بأنه سيتيح للولايات المتحدة فرصة "اعادة ترتيب المنطقة بما يخدم مصالحها". والسؤال الذي يطرح ماهي صيغة مشروع الشرق الاوسط الكبير الذي طرحته ادارة الرئيس بوش الابن من جديد في منتصف عام ٢٠٠٤؟ وهل هو نسخة معدلة من مشروع والده الذي انطلق بعد حرب الخليج الثانية؟ وما هي ردود الافعال الاوروبية تجاه هذا المشروع والتي كانت بالاساس معارضة للمشروع في صيغته الاولى؟ وما هي، دود الافعال العربية، بالتحديد النظام الاقليمي، العربي، المتمثل في جامعة الدول العربية؟

في الواقع، ان المشروع الشرقي الاوسط الكبير لم يأت بشيء جديد مختلف عن الاصلاح والمبادئ التي سطّرها المشروع الاول، ما عدا التأكيد على عبارات الاصلاح السياسي والتنمية والديمقراطية على وفق المتغيرات الجديدة بعد الحادي عشر من سبتمبر وتداعيات الحرب الاستباقية في افغانستان والعراق. وقد اثار الرئيس الامريكي بуш الابن في فترة رئاسته الثانية اهداف سياسة (اعادة رسم المنطقة) في خطاب الاتحاد في ٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٤ في خطاب حالة الاتحاد مؤكداً بأنه "طالما بقي الشرق الاوسط فريسة للاستبداد وفقدان الامل والعنف، فإنه سيستمر في تغريغ الرجال والحركات التي تهدد امن الولايات المتحدة واصدقاؤها. ولذلك فان الولايات المتحدة ستتطلع الى تحالف الشفافية، الامان، الاصلاح والاصطفاف".

وأن المحور الثاني في هذه الاستراتيجية ينصب في "التشييد مجتمعاً من المعرفة"، حيث الهدف المحدد: تخفيض إلى النصف معدلات الأمية من هنا حتى

<sup>(٢)</sup> مسحقة الاتحاد الاماراتي في ٣ تشرين الثاني ٢٠٠٢، ص ٢٧.

<sup>(٣)</sup> متحف الاتحاد الاماراتي في أبوظبي، كانون الثاني ٢٠٠٤.

<sup>(٤)</sup> نادر فرجاني، احتلال العراق بين ادعاءات التحرير ومتامن الاستعمار، مجلة المستقبل العربي،

العدد ٣٩٣، ص ٣٠٣، ٢٠١٣

(٢٢) المصدر نفسه، ص ١١.

<sup>(4)</sup> Les objectifs définis par George Bush, Le monde 5 mars 2004, p.4.

فـي  
هـل  
خـلال  
بـ ان  
مـع  
لـتـي  
تـلـال  
ىـ فـي  
مـن  
سـطـلـيـة  
لـقـةـ،  
سـتـها  
الـدـولـيـ  
لـاـقـلـ  
حـسـبـ  
عـادـة  
دـوـلـ  
أـيـاتـ  
يـبـهـا  
بـرـالـيـة  
دـوـلـة  
تـحـدـة  
بـوـيـزـرـ  
حـكـامـ  
هـنـدـيـ

باکوف)  
یہ علی  
فانستان  
ہجمات  
الانقلامہ

٢٠١٠، تأهل ١٠٠ ألف معلم من هنا حتى ٢٠٠٨. إضافة إلى الإجراءات الأخرى في "إعادة اصلاح التعليم في الشرق الأوسط"، و"تحرير القطاع الخاص" لمعالجة التأخر الاقتصادي من خلال رصد الأموال الكافية التي تقدر ما بين ٤٠٠-٥٠٠ مليون دولار خلال خمس سنوات والمساعدة حوالي ١,٧ مليون شخص بينهم ٧٥٠ ألف امرأة للخروج من حالة الفقر. ويبدو أن البنك الذي اقترحه المشروع الأول الذي يجب أن يمول باموال أوروبية وخليجية قد تم إعادة طرح تشكيله من جديد: بنك التنمية "للشرق الأوسط الكبير" على نموذج البنك الأوروبي لإعادة البناء والتنمية، يسمح بجمع الأموال من الدول الغنية في المنطقة ومجموعة الثمانى. وبهدف معالجة الضعف في التجارة ما بين دول الأقليم (وخصوصاً ما بين إسرائيل وجيرانها)، يقترح المشروع الأمريكي حلولاً عديدة، من بينها إنشاء "منطقة التجارة" حيث تتمتع المنتجات بأحقية الوصول الحر إلى سوق دول مجموعة الثمانى<sup>(٣٥)</sup>.

ومن قراءة ردود الأفعال الدولية والإقليمية لهذا المشروع الأمريكي، يتضح بأنها أكثر الردود انتقاداً جاءت من الضفة الأخرى من الأطلسي، حيث وصفه نيكول نيزوتى مدير معهد الدراسات الاستراتيجية في الاتحاد الأوروبي بأنه جاء نتيجة المشاكل التي تواجهها إدارة بوش ليس فقط في العراق، ولكن أيضاً في علاقة الولايات المتحدة مع بقية العالم. "لقد كان من المفترض على جورج بوش أن يبحث عن أفكار مقنعة من تلك التي أثارها في غزوة العراق. كان يجب عليه في سنته الانتخابية أن يصالح أمريكا مع حلفاءها وكذلك مع التيارات المختلفة في إدارته.."<sup>(٣٦)</sup>. ويبدو أن إدارة بوش قد اعترفت لأول مرة بأن التخلف والفقر والتأخى الاقتصادي تمثل في مجملها الجذور الأساسية للارهاب وعدم الاستقرار السياسي. وهي الأفكار التي طالما دافعت عنها باستمرار الدول الأوروبية، والتي أكدت على أكثر من ذلك من أن أي التزام بالاستقرار والمساعدة في الاصلاح في هذه المنطقة يجب أن ينطلق من التسوية الجذرية للصراع بالفلاطيني-الإسرائيلي، وإن الشراكة المتوسطية التي انطلقت أيضاً من مسار برشلونة في عام ١٩٩٥ هدفها إرساء علاقات التعاون مع الضفة الأخرى من المتوسط، ومساعدتها في التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي خصصت له مليارات من اليورو في الوقت الذي لم تقدم فيه الولايات المتحدة وهي تطرح مشروعها سوى ١٥٠ مليون دولار<sup>(٣٧)</sup>. وقد عبر الأوروبيون عن قلقهم من أن

<sup>(٣٥)</sup> Ibid.,

<sup>(٣٦)</sup> Claise Trean, Laure Zecchini, "Les Etats-unis lancent leur projet d'en "Grand Moyen-orient", Lemonade, 5 mars 2004, p.4.

<sup>(٣٧)</sup> Ibid.

ل الولايات المتحدة يمكن ان يجعل من المؤسسات الاوروبية هدفها لتقديم رؤيتها الجيوبيكتيكية في منطقة الشرق الاوسط، وتطلب منا تمويل خططتها التكتيكية<sup>(٣٨)</sup>. ومن يلاحظ عن المشروع الامريكي بأنه يتخد من المبادئ والاهداف التي سطرت في الشراكة المتوسطية وسيلة للتأكيد مرة اخرى على العلاقة مع دول المنطقة ولكن تحت العباءة الامريكية في ارساء الاصلاح السياسي، الذي كان من المفترض ان ينطلق من داخل دول المنطقة، على حد تعبير خافير سولانا منسق السياسة الخارجية والامنية الاوروبية.

وقد كان رد الفعل العربي مقتصرًا في حدة انتقاده للمشروع الامريكي على وسائل الاعلام والاوساط الاكاديمية، والاحزاب السياسية في الوقت الذي لاذت فيه الانظمة بالتصريحات، على الرغم من ان الجماهير العربية توافقه الى التغيير والاصلاح السياسي وديمقراطية السلطة اكثر من الولايات المتحدة، الا ان طرح المشروع من قوة كانت الى الامس القريب، هي التي دعمت ورعت هذه الانظمة وعززت من سلطاتها الدكتاتورية والاستبدادية، ومدتها بكل وسائل القهر والتعذيب ضد شعوبها، فكيف بها الان تتقلب بين ليلة وضحاها لتطرح نفسها "رسول الديمقراطية والقيم العالمية لحقوق الانسان". واذا كانت بعض الاوساط الرسمية قد اعلنت عن عدم موافقتها على ما جاء في اهداف هذا المشروع فان الدكتور محمد سيد احمد في مركز الدراسات السياسية في الاهرام، قد اعلن بان تأييد مبادرة بوش يكشف عن انتفاء سياسي" بالنسبة للانظمة العربية، حيث صرخ وزير الخارجية المصري السابق احمد ساهر بأنه "لا ننتظر التوجيهات من اي شخص للقيام بالاصلاحات". وقد اعلن الامين العام لجامعة الدول العربية بان "تجاهل الملفات الساخنة مثل فلسطين والعراق تؤثر على الاستقرار في المنطقة، وفي بيان مشترك مصرى- سعودي، اعلن على عدم موافقتهما على نموذج خاص لاصلاح بفرض من الخارج على الدول العربية والاسلامية"، مشدداً على ضرورة ايجاد الحلول العادلة للقضايا العربية والاممية الاسلامية، وبشكل خاص القضية الفلسطينية والعراقية"<sup>(٣٩)</sup>.

وبعد الحرب على نفط العراق، وبقية نفوذ المنطقة، ليس هناك من عوائق مالية تحول دون تنفيذ الادارة الامريكية لتنفيذ مشروع الشرق الاوسط طالما ان هناك من يمول هذا المشروع (وهو العراق)، تحت غطاء اعادة اعماره، ومن الصندوق العراقي الذي وعدت بعض الدول بالمساهمة فيه وهي نفسها الدول التي سبق وان رفضت تمويل "الشرق اوسيطية" عندما طرحت في مطلع عقد التسعينات. وسيتم جمع

سرى  
تاخر  
خلال  
ج من  
موال  
سط  
من  
ما بين  
سوالا  
ر الى  
نسخ  
كول  
نجة  
لآيات  
أفكار  
ة ان  
دو ان  
، فني  
طالما  
ان أي  
لتسوية  
، ايضا  
فرى  
ت له  
طرح  
ـن ان

<sup>(٣٥)</sup> Ib  
<sup>(٣٦)</sup> Cl  
"Gran  
<sup>(٣٧)</sup> Ib

<sup>(٣٨)</sup> Ibid.

<sup>(٣٩)</sup> Sophie Shihab, "Les dirigeant arabes recusent les" recettes imposées de l'ex-réfugié", le monde, 5 mars, p.4.

اموال هذا الصندوق من خلال (تعهادات) على شكل مساعدات وقرروض. كما ان العراق اضحي الباب المؤدية الى تغيير حاسم واعمق في خارطة المنطقة وتوزيع جديد لثرواتها البترولية وتركيبتها الاجتماعية، ومن خلاله سيتم رسم خارطة المبادرات النفطية الامريكية المستقبلية، حيث ما يأخذ في الحسبان هو ديمومسة المصالح الاستراتيجية الحيوية لامريكا، وتأمينها من اي خطر محتمل في المنطقة، يستدعي اعادة رسم خريطة كيانية جديدة للعراق لا تقوم فيه دولة مركزية قوية، وتفصيل تلك الخريطة على مقاييس اهلي عصبي يمنع قيام نظام سياسي قوي على مقربة من آبار النفط واسرائيل<sup>(٤٠)</sup>.

(٤٠) عبد الله بلقزيز، المشروع الممتنع: في الغرفة الكولونيالية للعراق، مجلة المستقبل العربي العدد ٥٣٢، ٢٠٠٣، ص ٥٣٢.